عصـــور - تصنيف ج- المجلد 22 / العدد03 - ديسمبر 2023
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

معرف الكائن الرقمي للمقال:10.54239/2319-022-003-006 (DOI)

الخواجة نصير الدين الطوسي ودوره في سقوط بغداد (656هـ/1258م)

Al-Khawaja Nasir al-din al-Tusi and his role of fall of Baghdad (656AH/1258 CE)

د. محمد قاوي*
جامعة عمار ثليجي الأغواط / الجزائر
m.gaoui@lagh-univ.dz

تاريخ الإرسال:2023/07/14 تاريخ المراجعة:2023/08/15 تاريخ القبول:2023/10/15

الملخص:

كان العالم الإسلامي في القرن 7هـ/13م يئّن تحت ضربات المغول الموجعة التي انثالت على أراضيه بداية بالدولة الخوارزمية ثم بقلاع الإسماعيلية في إيران التي كان نصير الدين الطوسي يعيش بين ظهرانيهم، وفور سقوطهم على يد المغول سنة (654هـ/1256م) التحق هذا الأخير بقائدهم هولاكو خان وصار أحد أهم مستشاريه.

يعتبر العالم الشيعي الخواجة نصير الدين الطوسي أحد أهم الشخصيات التي يشار لها بالاتهام نظرا لما تحوم حول الرجل من شبهات في أنّه أحد أسباب سقوط بغداد وذلك بتحريض قائد جيوش المغول هولاكو خان على غزو العراق وإسقاط الخلافة العباسية سنة 656هـ/ 1258م، وبهذا فقد صار الرجل محل جدل كبير بين المؤرخين المسلمين فمنهم من يراه بريئا من الحادثة ومنهم من بقي متحفظا على موقفه، ومنهم من أقرّ بأنّ له دور كبير في هجوم المغول على بغداد وفي مقتل الخليفة المستعصم بالله، وذلك أن النّصير الطوسي قد أصبح مقربا من هولاكو بحيث أن هذا الأخير لا يقدم على أمر مهم إلّا ويستشيره فيه، فقد صار مستشاره الخاص بل وكاتبه أيضا فنجد الطوسي يؤرخ لسقوط بغداد من وجهة نظر مؤيدة للمغول ويكتب رسائل هولاكو التي تحمل التهديد والوعيد إلى ملوك الشام.

الكلمات المفتاحية: مغول؛ الطوسي؛ سنّة؛ شيعة؛ بغداد؛ هولاكو؛ الخواجة نصير الدين؛ الإسماعيلية.

* د. محمد قاوي، جامعة الأغواط

Abstract:

The Islamic world in the 13th century AD suffered from the impacts of the Mongols, starting with the state of Khwarazm and then the Ismaili castles, where Nasir al-Din Tusi lived between them. After their fall, Hulagu Khan, the Mongol leader 654AH/1256AD, emerged and Tusi became one of his key advisers.

Al-Khawaja Nasir al-Din Tusi is considered a significant figure associated with accusations of being involved in the fall of Baghdad. He is suspected of inciting Hulagu Khan, the commander of the Mongol armies, to invade Iraq and overthrow the Abbasid Caliphate in 656AH/1258AD. The extent of Tusi's role in these events has been a topic of controversy among Muslim historians. Some consider him innocent of the incident, while others hold a more conservative view, and some admit his major role in the attack on Baghdad by the Mongols and the killing of the caliph Al-Musta'sim. Tusi had become close to Hulagu, serving as his trusted adviser and even writing letters on Hulagu's behalf to the kings of the Levant (Sham).

Keywords : Mongols; Tusi; The Sunni; The Shia; Baghdad; Hulagu; Al-Khawaja Nasir-al-din; The Ismaili .

- مقدمة

شـهد العـالم الإسـلامي فـي مطلـع القـرن 7هـ/13م بـروز قـوة جديـدة اكتسحت معظم أراضيه في المشرق، وتمثلت هذه القوة في المغول الذين قدموا من أواسط آسيا كإعصار لم يقف في طريقه سوى المماليك الذين انتصروا عليهم في معركة عين جالوت 658هـ/1260م.

ولا شك أن هذه الأزمة التي مر بها العالم الإسلامي قد أخرجت أحسن ما في الرجال وأسوأ ما فيهم، فظهر المحارب الشجاع وكذلك المتقاعس الجبان، وبرز العالم الرباني وكذلك عالم السلطان، كما لم يجد بعض المسلمين مضاضة من خدمة هؤلاء الغزاة أو أن يتقلدوا مناصب سياسية مرموقة في بلاطهم كالوزير ابن العلقمي(ت656هـ/1258م) وعطا ملك الجويني(ت683هـ/1283م) ورشيد الدين الهمذاني(ت718هـ/1318م) بالإضافة إلى نصير الدين الطوسي الذين صار مستشار هولاكو الخاص وصاحب كلمة مسموعة في بلاطه ومن ثمّ فقد حامت حوله شبهات حول مدى دوره في سقوط الخلافة في بغداد وتضاربت حوله الروايات في ذلك.

ويهدف المقال إلى تسليط الضوء على حياة نصير الدين الطوسي ودوره في حادثة سقوط بغداد بكل ما توفر من روايات سنية كانت أو شيعية أشارت للموضوع وتناولته في ذكر غزو المغول للعراق وإسقاطهم لدار الخلافة في بغداد سنة 656ه/1258م، واعتمد المقال على مقارنة الروايات وتقسيمها حسب وجهات النظر المتبعة لدي المؤرخين محاولة لإظهار حقيقة الأمر، وعليه سيجيب المقال عن بعض التساؤلات لعل من أبرزها الإشكالية الرّئيسية. إلى أي مدى كانت مساهمة نصير الدين الطوسي في سقوط بغداد؟ ومن الأسئلة الفرعية كذلك. من هو نصير الدين الطوسي؟ وكيف كان دوره في سقوط الخلافة العباسية في بغداد؟

ولقد تباينت المواقف والآراء حول ما إن كان لنصير الدين الطوسي دور فعلا في تحريض هولاكو على غزو بغداد أو لعلّ هولاكو كان عازما على ذلك ومن ثمّ لا يوجد دور للنّصير الطوسي في حادثة سقوط بغداد، كما لم نجد حسب إطلاعنا المتواضع على دراسة جادة اختصت في مدى دور نصير الدين الطوسي منفردا في حادثة سقوط بغداد، وإنما لدور الشيعة عموما، ومن ثمّ فإن الدراسة لم تنل الجانب الكافي من التمحيص والتدقيق.

وقد كان المنهج المقارن هو المنهج الأنسب للدارسة خاصة فيما يتعلق بالمقارنة بين الروايات السنية -كابن كثير والذهبي- والشيعية -كابن طباطبا والخوانساري- التي أرخت لحادثة سقوط بغداد على يد المغول سنة 656هـ/1258م ومحاولة إماطة اللثام عن الروايات الأقرب إلى الحقيقة العلمية.

1- نصير الدين الطوسي:

1-1/ مولده ونسبه:

هو محمد بن محمد بن الحسن الطوسي (الكتبي، صفحة 246)مولده بطوس (الحموي، 1977، صفحة 692)يوم السبت حادي عشر من شهر جمادى الأولى (رضوي، 1998، صفحة 11)سنة 597هـ/فبراير 1201 م (سليمان، 1995، صفحة 16) وقيل أن أصله من جهرود، وولد في طوس فاشتهر بها (الأردبيلي، 1982، صفحة 188) ، ويكنى بأبي جعفر، بينما يطلق عليه الذهبي (ت673هـ/1348م) (الذهبي، 1999، صفحة 114) وابن كثير(ت774هـ/1373م) كنية أبي عبد الله (كثير، 1998، صفحة 514) .

ولقد تعددت ألقاب الطوسي، فيذكره ابن كثير بالمولى نصير الدين (كثير، 1998، صفحة 514) بينما يصفه الكتبي(ت764هـ/1363م) بالفيلسوف

(الكتبـي، صـفحة 246)، فـي حـين ينعتـه الـذهبي بالخواجـة نصـير الـدين الطوسي (الذهبي، 1999، صفحة 114) هذا بالنسبة لبعض كتب أهل السنة.

أما كـتب الشيعة فلقد غلب على سطورها عبارات المدح والثناء وحملت فـي طياتهـا آيـات الإجـلال والتعظـيم لنصـير الـدين الطوسـي، فيصـفه الأردبيلـي(ت994هـ/1585م) بـــ: قـدوة المحققـين وسـلطان الحكمـاء والمتكلمـــــــين (الأردبيلـــــــي، 1982، صـــــــفحة 188). و الخوانساري(ت1313هـ/1895م) بـ : سلطان المحققين، وبرهان الموحدين مولانـا الخواجـة نصـير الملـة والـدين (الخوانسـاري، 1996، صـفحة 278) وعبـاس القمـي(1359هـ/1941م) بـــــ : أفضـل الحكمـاء والمتكلمـين، سـلطان العلمـاء والمحققين، علامـة البشـر والعقـل الحـادي عشـر (القمـي، 1965، صفحة 933)

1-2/ نشأته في طوس ونيسابور:

بـدأ نصـير الـدين الطوسـي حياتـه بـتعلم القـران الكـريم وحفظـه فـي سـن مبكـرة، ثـم أخـذ يـتعلم اللغـة العربيـة وينهـل مـن علومهـا نحوهـا وصـرفها ومفرداتها وبلاغتها، وبعد ذلك توجه صوب الأحاديث النبوية ثم شق طريقه نحو الأخبار التاريخية (رضوي، 1998، صفحة 12) .

بعد أن ألمّ بعلوم اللغة والأدب تحول إلى دراسة الفقه والمنطق والحكمة والرياضيات، فتعلم الفقه عند والده (الأمين، 1997، صفحة 16) محمد بن الحسن الذي كان من تلاميذ فضل الله الراوندي(ت571ه/1175/) (الزركلي، 2002، صفحة 152) ، كما تعلّم مقدمات المنطق والحكمة على يد خالـه فاضـل بابـا أفضـل الكاشـي (طرابيشـي، 2006، صـفحة 69) . فـاطلع علـى حقائق العلوم الطبيعية، وأخذ في تحصيلها في وقت مبكر من حياته كما يذكر ابن كثير بأنه اشتغل في شبيبته وحصل علم الأوائل جيدا (كثير، 1998، صفحة 514).

وفـي هـذه الفتـرة مـن حياتـه التـي يكتنفهـا الكثيـر مـن الغمـوض تسـكت المصادر عن نشاط الطوسي وهو صبي في طوس (الأعسم، 1975، صـفحة 28)، ولا تذكر عنه سوى القليل النادر (تامر، 1983، صفحة 45).

ويمكن القول أنّ النصير الطوسي نشأ في هذه المرحلة بين أحضـان أبيـه الفقيـه وخالـه الحكيم الفيلسـوف، وبذلك فقد نشـأ وسط الأجـواء الفلسـفية التـي ظهرت انطباعها عليه في حياته (سليمان، 1995، صفحة 17).

لما بلغ الطوسي الخامسة من عمره انتقل إلى نيسابور (القزويني، صفحة 473)، بلد الثقافة والعلم في ذلك العصر (نعمة، 1987، صفحة 536)، والتي كانت تعد آنذاك مركزا علميا هاما وموطنا لجمع من كبار الحكماء والفقهاء والعلماء والفضلاء (الأمين، 1997، صفحة 16) بل إن البعض يعتبرها إحدى المدن الأربع الكبرى في خرسان، ومن المراكز العلمية المهمة في حواضر العالم الإسلامي كله (Tootian, 2012, p. 24)

أقام الطوسي في هذه المدينة بضع سنوات من 612هـ/ 1216م إلى سنة 619هـ/1222م (سليمان، 1995، صفحة 18)، ولا يُعرف هل كان بقاءه فيها مستقرا أم أنه كان يتردد على طوس بين الفينة والأخرى، إلا أن المؤكد أنه أفاد من علماء نيسابور، واغترف من فيض فضائلهم ، واقترب إلى مجالسهم ينهل منها الحكمة والمعرفة حتى صار في عنفوان شبابه بارعا ضليعا في أكثر الفنون والعلوم (الأمين، 1997، صفحة 16) حتى أصبح يشار إليه بالبنان وبزَّ أقرانه فيها (رضوي، 1998، صفحة 12) .

وتعتبر الفترة التي قضاها النصير الطوسي في نيسابور من أخصب فترات حياته الثقافية (سليمان، 1995، صفحة 18) ، حيث تلقى تعليمه على مجموعة من نخبة العلماء فيها.

وبقي هنالك إلى غاية دخول المغول إليها حيث هرب منها إلى طوس في ظروف غامضة ومجهولة، إلا ما يعرف من أنه بلغ الثانية والعشرين من عمره، وكان من بين الأربعمائة المحظوظين الذين نجو من مذبحة المغول سنة 619 ه/ 1222 م (الأعسم، 1975، صفحة 31).

في الثامن عشر من ذي الحجة سنة 672 هـ/ 1274م توفي نصير الدين الطوسي (الفوطي، 2003، صفحة 269)، وقيل بأن وفاته كانت سنة خمس وسبعين وستمائة، والأول أصح وأرجح لإجماع المؤرخين، وكانت وفاته ببغداد وشيعه صاحب الديوان وأعيان البلد، وكانت جنازته حفلة (الكتبي، صفحة 251)، ودفن في مشهد موسى بن جعفر الصادق (الوردي، 1996، صفحة 223) في سرداب كان قد اعد للخليفة الناصر لدين الله (كثير، 1998، صفحة 514).

2/ دوره في سقوط بغداد:

لعل أكثر شيء اختلف فيه المؤرخون في حياة الطوسي الطويلة هو دوره في سقوط بغداد حيث تتضارب الروايات في صحة دوره من عدمه وما أثير حول حثّه لهولاكو على غزو بغداد وتسهيل الأمر له، وما ترتب عن ذلك

من سقوط عرش المسلمين المتمثل في الخلافة العباسية ومقتل آخر خليفة عباسي سنة 656هـ/1258م، ولقد أكدت بعض المصادر التاريخية على دور الطوسي في هذه القضية، في حين نفت بعض المصادر الأخرى ذلك، كما تحفظت بقية المصادر عن ذكره في وقعة بغداد جملة وتفصيلا.

والواقع أنه حصل جدل كبير بين المؤرخين حول مدى دور الشيعة عموما ونصير الدين الطوسي وابن العلقمي (الكتبي، صفحة 252)، على وجه الخصوص وما يهمنا هو دور نصير الدين الطوسي –موضوع الدراسة - وقد تباينت مواقف المؤرخين باختلاف مشاربهم ومذاهبهم فاختلفوا ما بين مؤكد ومفنّد ومتحفظ.

2-1/- الروايات المؤكدة:

يعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية الحرّاني(ت728ه/1328م) وابن القيم الجوزية(751هـ/1350م) من أشد القادحين على النّصير الطوسي بسبب دوره في سقوط بغداد حيث يرى ابن تيمية أن الروافض قد أعانوا المغول على قتل المسلمين كالوزير ابن العلقمي والمنجّم نصير الدين الطوسي (تيمية، 1986، صفحة 155)، كما يرى في موضع آخر أنهم من أعظم الأسباب في دخول المغول إلى بلاد المسلمين (تيمية، 1986، صفحة 414) .

ويعلق على دور الطوسي قائلا: إن هذا الرجل – يقصد الطوسي- أُشتهر عند الخاص والعام أنه كان وزير الملاحدة بالألموت، ثم لما قدم الترك المشركون إلى بلاد المسلمين وجاءوا إلى بغداد، كان هذا منجما مشيرا لملك الترك المشركين هولاكو، وأشار عليه بقتل الخليفة، وقتل أهل العلم والدين واستبقاء أهل الصناعات والتجارة الذين ينفعونه في الدنيا (تيمية، 1986، صفحة 447) .

ويوافقه تلميذه الشهير ابن القيم الجوزية بل يزيد عليه بقوله: "ولماّ انتهت النوبة إلى نصير الشرك والكفر الملحد وزير الملاحدة النصير الطوسي وزير هولاكو شفا نفسه من أتباع الرسول وأهل دينه فعرضهم على السيف حتى شفا إخوانه من الملاحدة واشتفى هو فقتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين واستبقى الفلاسفة والمنجمين والسحرة " (الجوزية، صفحة 1014).

أما ابن كثير فقد أكّد على دور الطوسي في مقتل الخليفة حين تطرق إلى غزو بغداد من قبل المغول في حوادث سنة 656هـ ، ثم نفى ذلك عنه عندما تطرق للحديث عن وفاته في حوادث سنة 672هـ ، فارتأيت ذكر الرأيين معا، وقد ذكر مؤكدا دوره بأنه لما قدم هولاكو بغداد وأشار ابن العلقمي على الخليفة بالخروج والمثول بين يديه لتقع المصالحة بينهما على أن يؤدي الخليفة لهولاكو نصف خراج بغداد ، فأقنع الخليفة بذلك وخرج مع أكابر دولته إلى هولاكو فقتلوا عن آخرهم وقد حرّض ابن العلقمي هولاكو على قتل الخليفة وعدم مصالحته ويذكر ابن كثير بأن الذي أشار عليه بقتله الوزير ابن العلقمي والنّصير الطوسي، بل يزيد ابن كثير من دور هذين الرجلين بأنه لمّا تهيّب هولاكو من قتل الخليفة هوّن عليه الوزيران ذلك فقتلوه رفسا لئلا يقع على الأرض شيء من دمه (كثير، 1998، صفحة 359).

كما يذكر ابن العماد الحنبلي ويتهم الطوسي في تحريضه واشتراكه مع هولاكو في قتل الخليفة العباسي وتعريض المسلمين للسيف كما ينقل ذلك عن ابن القيم الجوزية بشيء من الإيجاز (الحنبلي، 1991، صفحة 529).

وإن كان لهذه الروايات الآنفة الذكر سبب يدعو للطعن فيها بسبب رائحة التحامل المذهبي التي تفوح من بعضها خاصة الروايتين الأولى والثانية من طرف الشيعة، فإن الروايات التالية لا تقبل مجالا للطعن بحجة الميل المذهبي على الأقل، فهي مستمدة من بعض المؤرخين الشيعة أنفسهم ، وعلى رأسهم القاضي نور الله الششتري الشيعي المرعشي المتوفى سنة 1019ه الذي إعترف صراحة في كتابه مجالس المؤمنين بالدور الذي لعبه ابن العلقمي والنصير الطوسي فقال : "إنه كاتب هولاكو والخواجة نصير الدين الطوسي، وحرضهما على تسخير بغداد للانتقام من العباسيين بسبب جفائهم لعترة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم وآله" (البار، 2008، صفحة 112).

ويصف الهمذاني بأن هولاكو كان يتشاور مع أركان دولته في أمر الزحف إلى بغداد فأبدى كل منهم رأيه، ثم سأل حسام الدين المنجم قائلا له بأن يذكر له ما يقع دون مداهنة فأشار عليه بعدم الزحف إلى بغداد وبأنه ليس من الأمان قصد دار الخلافة إذ أن كل ملك قصدها لم يستمتع بالملك والعمر، وإن أصّر الملك على الذهاب فستظهر ستة أنواع من الفساد:

- أن تنفق الخيل ويمرض الجند.
- أن الشمس لا تطلع وأن المطر لا ينزل.

- تهب ريح صرصر.
- ينهار العالم بالزلزال.
- لا ينبت النبات في الأرض.
- أن الملك الأعظم يموت في تلك السنة (الهمذاني، صفحة 279) .

وقد كان حسام الدين المنجم يريد أن يثني هولاكو عن عزمه في التوجه صوب بغداد لما كان يعلمه من تعلق هولاكو بعلم التنجيم، خاصة وأن الخليفة المستعصم قد بعث إليه برسالة جاء فيها مثل هذا القبيل وتشابه إلى حد ما قاله حسام الدين وكان نص الرسالة بأنه "لو غاب عن الملك فله أن يسأل المطلعين على الأحوال إذ أن كل ملك – حتى هذا العهد – قصد أسرة بني العباس ودار السلام ببغداد كانت عاقبته وخيمة، ومهما قصد ذوو السطوة من الملوك وأصحاب الشوكة من السلاطين فإن بناء هذا البيت محكم للغاية وسيبقى إلى يوم القيامة " (الهمذاني، صفحة 275) .

ولمّا كان هولاكو راغبا ومترددا في آن واحد في أمر مهاجمة بغداد فقد استدعى نصير الدين الطوسي، واستشاره في الأمر، فقال له الطوسي " لن تقع أية واقعة من هذه الأحداث" ، فقال هولاكو " إذن ماذا يكون" ، فقال الطوسي بأن "هولاكو خان سيحل محل الخليفة"، ويبرّر الهمذاني فعل الطوسي هذا بأنه خاف من هولاكو، وظنّ الأمر على سبيل الاختبار (الهمذاني، صفحة 279)- وهذا ليس مبرّرا على الإطلاق فهل دخل الهمذاني قلب الطوسي فلاحظ ارتفاع نبضاته ليستشعر خوفه، ولو كان ذلك صحيحا وتملكه الخوف حقّا كما ادعى، هل هذا يبرر له النتائج الوخيمة لقوله الذي قتلت به مئات الآلاف من المسلمين، فهل يحفظ نفسه ويضحي بنفوس الآخرين، بالإضافة أنه قد كان على علم بما قاله المنجم حسام الدين لهولاكو، وقد كان بإمكانه تأييد رأي حسام الدين أو على التحفظ في الجواب - ثم يناقض الهمذاني نفسه حين يذكر بأن هولاكو أحضر حسام الدين ليتباحث مع الطوسي في الأمر فدافع الطوسي عن رأيه قائلا بأن كثير من الصحابة قد استشهدوا باتفاق آراء الجمهور وأهل الإسلام، ولم يحدث فساد قط، ولو قيل أن للعباسيين مكرمة خاصة بهم، فإن طاهراً (ت207هـ) جاء من خرسان بأمر المأمون(ت218هـ) و قتل أخاه الأمين(ت198هـ) ، وقتل المتوكل(ت247ه) ابنه بالاتفاق مع الأمراء، كذلك قتل الأمراء والغلمان المنتصر والمعتز، وقتل عدد من الخلفاء العباسيين على يد جملة من الأشخاص فلم تختل الأمور .

وعلق الهمذاني على مدى إعجاب هولاكو بتشجيع الطوسي على غزو بغداد بقوله:

فأضاء قلب الملك من قول العالم

كأنه زهرة العلل في الربيع الباكر (الهمذاني، صفحة 280) .

في حين يتفاخر الخوانساري، بما فعله الطوسي ويعد ذلك من مناقبه فيذكر أن الطوسي رغّب هولاكو في تسخير عراق العرب فعزم على فتحها، فسخّر البلاد والنواحي واستأصل الخليفة المستعصم (الخوانساري، 1996، صفحة 293).

ويضيف الخوانساري مؤكدا على دور الطوسي بقوله " ومن جملة أمره المشهور حكاية إستيزاره للسلطان المحتشم في محروسة إيران هولاكو بن تولوي بن جنكيزخان من عظماء سلاطين التترية وأتراك المغول، ومجيئه في موكب السلطان المؤيد مع كمال الاستعداد إلى دار السلام بغداد لإرشاد العباد وإصلاح البلاد وقطع دابر سلسلة البغي والفساد وإخماد نائرة الجور والألباس بأبداد دائرة ملك بني العباس، وإيقاع القتل العام من أتباع أولئك الطغام، إلى أن أسال من دمائهم الأقذار كأمثال الأنهار فانهار بها في ماء دجلة و منها إلى نار جهنم دار البوار ومحل الأشقياء و الأشرار" (الخوانساري، 1996، صفحة 289). ولا تخفى مبالغة الخوانساري في دور الطوسي وإعطاءه أكثر من حجمه الطبيعي في البلاط المغولي فلا يعدو كونه مشجع ومحرّض على غزو بغداد وليس مخطط ومدبّر لغزوها.

2-2/- الروايات المفنّدة:

من الروايات التي تفند أي دور للطوسي في سقوط بغداد روايتان الأولى شيعية والأخرى سنية، أما الرواية الأولى الشيعية فهي لابن طباطبا الذي يبرئ الشيعة عموما ويصف الوزير ابن العلقمي بالرجل العاقل المكفوف اليد المترفع عن الأموال، وفي رأيه أن لا يد له أيضا في سقوط بغداد بل على العكس تماما كان ابن العلقمي هو الناصح الأمين الذي يشير على الخليفة بالحيطة والاستعداد للمغول، وابن طباطبا وإن كان يدافع عن ابن العلقمي بشكل خاص فإنه يدافع عن الشيعة بشكل عام، الشيعة الذين ينتمي إليهم النصير الطوسي (طباطبا، صفحة 335)، أما الغريب في الأمر فهو في الرواية الثانية إذ أن صاحبها سنّي بل من عمدة أهل السنة الحافظ ابن كثير الذي يدافع عن الطوسي بقوة ولكنه لا يؤكد شيئا مما يقول فيذكر أن من

الناس من يزعم أنه أشار على هولاكو بأن يقتل الخليفة فالله أعلم، وعندي أن هذا لا يصدر من فاضل ولا عاقل، وقد ذكره بعض أهل بغداد فأثنى عليه وقال: كان فاضلا كريم الأخلاق، (كثير، 1998، صفحة 514). ومن هذا يلاحظ أن العامل المذهبي للمؤرخين لا يؤثر على الكتابة التاريخية في كل الأحيان.

2-3/- الروايات المتحفظة:

يتحفظ عدة مؤرخين عن ذكر أي دور للنصير الطوسي في سقوط بغداد ومن بينهم ابن الساعي (ت 674هـ/1275م) (الساعي، 1891، صفحة 126) وابن الفوطي (ت723هـ/1323م) (الفوطي، 2003، صفحة 223) والذهبي (ت748هـ/1347م) (الذهبي، 1999، صفحة 172) وابن الوردي (ت749هـ/1348م) (الوردي، 1996، صفحة 189) وابن خلدون (808هـ/1405م) (خلدون، 2000، صفحة 663) والقلقشندي (ت820هـ/1417) (القلقشندي، صفحة 90) والسيوطي(911هـ/1505م) (السيوطي، 2003، صفحة 366) عن ذكر أي دور للنصير الطوسي في سقوط بغداد، ولكنهم يتفقون على جملة من الأمور هي:

- الفتنة بين حي أهل الكرخ الشيعي وحي باب البصرة السني ببغداد.
- مهاجمة عسكر الخليفة لحي الكرخ وقتل الرجال وسبي النساء.
- خيانة الوزير ابن العلقمي لخليفته ومكاتبته للمغول من أجل الانتقام.
- إشارة الوزير على الخليفة بتقليص عدد الجند من مائة ألف إلى أقل من عشرين ألف.
- خروج مجاهد الدين الدويدار إلى عسكر المغول وهزيمته ورجوعه إلى بغداد.
- إقناع الوزير ابن العلقمي الخليفة المستعصم بالاستسلام والخروج إلى هولاكو.
- إشارة الوزير ابن العلقمي على هولاكو بقتل الخليفة المستعصم.

-خاتمة:

تلقي هذه الدراسة الضوء على شخصية نصير الدين الطوسي الذي يعتبر الزعيم العقلي للفكر الشيعي، ومدى دوره في سقوط بغداد سنة 656ه/1258م، ومما سبق نستخلص بعض النتائج الهامة:

لقد كان الطوسي محل نقد وانتقاد من طرف كثير من المؤرخين السنّة، نقد يصل بهم إلى حدّ تكفيره واتهامه بالإلحاد، في حين نجد بعض المؤرخين الشيعة يصفونه بمنقذ الإسلام، وحامي المسلمين من بأس المغول.

إن أهم أمر عرَّض الطوسي لنقمة المؤرخين عليه، هو مرافقته لهولاكو أثناء غزوه لبغداد، ولعل الروايات قد قطعت بما لا يدع مجالا للشك أنّ للرجل يدا في تلك الواقعة التي سفكت فيها دماء المسلمين، وانتهكت فيها أعراضهم، ودمرت فيها المساجد، وأتلفت فيها الكتب، ولم يبق منها إلا اليسير.

من المرجح أن سكوت بعض المصادر عن دوره في الواقعة يبرره دوره السلبي فيها، فلم يدافع عن المسلمين كما يدّعي بعض المؤرخين، بحيث أنّه لم يستغلّ قربه من القائد الأعلى في الجيش المغولي "هولاكو"، في التخفيف من وطأة الهجوم المغولي على أهل بغداد، خاصة وأنهم كانوا من عامة الناس، بل على العكس من ذلك، نجده يكتب رسالة في واقعة بغداد، دون أي اكتراث أو مبالاة بما حصل للمسلمين.

ومن ثمّ فإنه يسقط تبرير المؤرخين الشيعة للطوسي على أن انضمامه للمغول كان بقصد حماية المسلمين وإنقاذ لتراثهم الإسلامي، وبمعنى أصحّ ما كان لتلك المجازر لتزيد عن ذلك سواء كان الطوسي في صفوف المغول أم لم يكن.

ولعلّ سبب انضمامه للمغول يفسر خوفه على مستقبله العلمي، فضلا عن طمعه في التأثير على هولاكو لبناء مرصد فلكي في الدولة الجديدة الناشئة، لا سيما وأنه بارع ومجيد لعلم تعلق به هولاكو كثيرا وقدسه وهو علم التنجيم، وهذا ما حدث فعلا، إذ أمر هولاكو ببناء مرصد فلكي ضخم في مراغة، يكون تحت إشراف نصير الدين الطوسي.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن الساعي، علي بن أنجب، (1891م) ، مختصر أخبار الخلفاء، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر.
2. ابن العماد الحنبلي، (1991)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق : محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير، لبنان .
3. ابن الفوطي،(2003)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، تحقيق: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، لبنان .
4. ابن القيم الجوزية (د ت)، إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، تحقيق : علي الحلبي، دار ابن الجوزي، الأردن .
5. ابن الوردي، زين الدين عمر بن المظفر، (1996)، تاريخ ابن الوردي ،ط2، دار الكتب العلمية، لبنان .

6. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، (1986)، منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، د د ن، السعودية.
7. ابن خلدون، (2000)، العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مراجعة : سهيل زكار، دار الفكر، لبنان.
8. ابن طباطبا،(د ت)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ،ط2، دار صادر، بيروت.
9. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (1998)، البداية والنهاية، تح : عبد الله التركي، دار هجر، مصر.
10. جورج طرابيشي، (2006) ، معجم الفلاسفة، ط3، دار الطليعة، بيروت.
11. حسن الأمين، (1997)، الإسماعيليون والمغول نصير الدين الطوسي، دار الغدير، بيروت.
12. خير الدين الزركلي، (2002)، الأعلام، دار العلم للملايين، لبنا .
13. الذهبي، محمد بن أحمد، (1999) ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط3، تح : عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان .
14. السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمان، (2003)، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، لبنان، 2003.
15. عارف تامر، (1983)، نصير الدين الطوسي في مرابع ابن سينا ،ط2، مؤسسة عز الدين ، بيروت.
16. عباس القمي، (1965)، الفوائد الرضوية في أحوال علماء المذاهب الجعفرية ، تح : ناصر باقري، مؤسسة البستان ، إيران .
17. عباس سليمان، (1995)، نصير الدين الطوسي كاتب قلعة ألموت، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
18. عبد الأمير الأعسم، (1975)، نصير الدين الطوسي مؤسس المنهج الفلسفي في علم الكلام الإسلامي، منشورات عويدات، لبنان.
19. عبد الله نعمة، فلاسفة الشيعة حياتهم وأفكارهم، تقديم : محمد جواد مغنية، دار الفكر اللبناني، لبنان ، 1987.
20. القزويني، زكرياء بن محمد، (بلا تاريخ)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، لبنان .
21. القلقشندي، (بلا تاريخ)، مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت .
22. الكتبي، محمد بن شاكر، (بلا تاريخ) ، فوات الوفيات والذيل عليها ، تح : إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

23.محمد باقر الخوانساري، (1991)، روضات الجنات في أحوال العلماء السادات، تح : أسد الله إسماعيل يان، الدار الإسلامية، لبنان.
24.محمد بن علي الأردبيلي، (1982)، جامع الرواة و إزاحة الإشباهات عن الطرق والإسناد ،ط2، منشورات مكتبة المرعشي، إيران .
25.محمد تقي مدرس رضوي، (1998)، العلامة الخواجة نصير الدين الطوسي حياته وأثاره، تر: علي هاشم الأسدي : مؤسسة الطبع والنشر التابعة للأستانة الرضوية المقدسة، إيران
26.محمد علي البار، (2008)، كيف أسلم المغول، دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن
27.الهمذاني رشيد الدين فضل الله، (بلا تاريخ)، جامع التواريخ، مراجعة وتقديم يحي الخشاب، ترجمة : محمد صادق نشأت وآخرون، دار إحياء الكتب العربية، د م ن
28.ياقوت الحموي، (1977)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت.
29- Ali Tootian ,(2012) , tusi mathematician mathematics eduator and teacher and saviar of the mathematics, Simon Fraser University,canada.